بالصور أطفال أوجعوا ضمير البشرية

الخميس 3 سبتمبر 2015 12:09 م

لحظات في تاريخ الإنسانية لا يمكن أن ينساها البشر لصعوبتها ومأسويتها؛ فما بالك لو كانت مرتبطة بأطفال لم يرتكبوا أي ذنب سوى أنهم ولدوا في أزمنة وبلدان تعاني من حروب وأزمات ولا تجد من ينجدها.

لعب الأطفال على مر التاريخ دورًا مهما في التأثير على ضمير العالم، وكان آخرهم الطفل السوري إيلان كردي ذو الـ3 سنوات، الذي لقي مصرعه غريقًا في البحر، ورمى الموج جثته على شواطئ تركيا أثناء هروبه مع أسرته في زورق من نار الحرب السورية إلى تركيا.

احتلت صورة الطفل السوري الغريق أغلفة غالبية صحف العالم، وتصدر اسمه مواقع البحث وأعادت قصته الأزمة السورية إلى موقع الصدارة من جديد بعدما تناسها العالم، وترك الشعب السوري خلال الـ4 سنوات الماضية يواجه الغرق والرصاص والقنابل وحده دون مغيث إلا الله.

وإن كان الحال السوري مأساويا فإن الأوضاع في فلسطين لا تقل ألماً؛ والتي جسدها الطفل "محمد الدرة" الذي استشهد في الثلاثين من شهر سبتمبر عام 2000 برصاص الاحتلال الإسرائيلي في غزة أثناء احتمائه بوالده من بطش العدو الصهيوني.

هز مشهد مقتل الطفل محمد الدرة العالم الصامت علي انتهاكات إسرائيل التي قتلت الطفل وتركته جثة هامدة علي ساق أبيه رغم محاولاته المستمرة الإشارة إلى جنود الاحتلال بعدم إطلاق النار على مواطنين سلميين، صوَّر هذا المشهد مصور فرنسي اسمه شارل اندرلان كان يعمل وقتها كمراسل بقناة فرنسا 2.

تسببت الطفلة "كيم" في وقف حرب فيتنام والتي نالت شهرة عالمية بسبب الصورة التي تم التقاطها لها أثناء ركضها عارية في 8 يونيو 1972 في قرية ترانج بانج الفيتنامية بعد احتراق جسدها من الخلف بفعل نابلم القوات الفيتنامية الجنوبية.

ودعت أمريكا في ذكرى حرب فيتنام عام 1996 "كيم" لإلقاء خطاب أكدت فيه أننا لا نستطيع أن نغير الماضي ولكن نستطيع أن نعمل جميعاً من أجل مستقبل يعمّه السلام، لافتة إلى أن جسدها يحمل العديد من الآثار وآلام شديدة في معظم الأيام ولكن قلبها مازال صافياً.

وأسست كيم فيما بعد جمعية "كيم لمساعدة الأطفال من ضحايا الحروب" كما تم اختيارها سفيرة اليونسكو للنوايا الحسنة.

وفي ألمانيا لم ينس العالم الصورة التي تم التقاطها أثناء محاولة جندي من ألمانيا الشرقية مساعدة طفل صغير على اجتياز جدار برلين الذي شيدته سلطات جمهورية ألمانيا الديمقراطية- الشرقية سابقا- عام1961 وقسم المدينة لمدة 28 عاما بين شطر غربي رأسمالي وآخر شرقي اشتراكي.

وظهرت على الطفل علامات البؤس في حين بدا على الجندي علامات الخوف الشديد من مساعدة الطفل انصياعا لأوامر قيادته الذين أصدروا أوامر مشددة بعدم السماح لأى أحد باجتياز ذلك الجدار.

وكان 136 ألمانيا شرقيا علي الأقل قتلوا وهم يحاولون اجتياز الجدار, الذي هُدم يوم التاسع من نوفمبر عام 1989.

وهل يستطيع أحد أن يقدم تفسيراً منطقياً يقبله عقل في قتل رضيع حرقاً عمره 18 شهراً؟ وكيف لكلمات أن تعبر عن جريمة أدانها العدو قبل الصديق. لا أحد يستطيع أن يجادل في استشهاد الطفل الرضيع علي دوابشة، إضافة إلى إصابة أفراد عائلته بحروق شديدة؛ لأن من نفذوها قطعاً ليسوا من بني البشر.

مستوطنون يهود نازيون تحت حماية جيش الاحتلال الإسرائيلي أشعلوا النار في منزل "علي"، بينما كانت أسرته نائمة في قرية كفر دوما بنابلس، فجر أمس الجمعة، وأدى الحريق لاستشهاد الطفل الرضيع وإصابة أفراد عائلته.. توفى علي دوابشة ليعرف الموت قبل الحياة.

جريمة إحراق "علي" تعيد للذاكرة إحراق الفتى الفلسطيني محمد أبوخضير فى الرابعة عشرة من عمره في يوليو من العام الماضي، وقبله قُتل محمد الدرة أمام حاجز عسكري إسرائيلي وسط قطاع غزة، في 30 سبتمبر عام 2000، والتقط المشهد

بالفيـديو وأظهر الطفـل وهـو يحتمي في حضـن والـده خلف برميل اسـمنتي، وبعـد نحيب وصـراخ لدقيقـة تمـدد محمد جثة هامدة برصاص جيش الاحتلال.